

النشاط الثقافي في الوطن العربي

مراجعات
«الأدب»

لبنان

ظواهر جديدة ...

لا يزال المراقبون يلاحظون انبثاق ظواهر جديدة في النشاط الثقافي في لبنان تثير علامات استفهام كثيرة .. لا سيما وانها تخرج الى المسرح بعد نكسة حزيران ، فتدفع الناس الى الاعتقاد بانها ليست بعيدة عن التيارات الاجنبية الخارجية التي يهملها ان تستغل هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الوطن العربي لتحاول ان تزرع بذور الفرقة والفساد وتفتت القوى الوطنية .

وقد تناول بعض النقاد اللبنانيين عددا من هذه الظواهر في الفترة الاخيرة ، فتحدثت السيدة اميلي نصر الله عن « دار الفن والادب » التي وعدت ان تقف وراء النهضة الفنية والادبية ، كما جاء في بيان صدرته منذ حين .

وتساءلت اميلي نصر الله :

هل تستطيع « الدار » ان تتجاوز نفسها وتهبط من برجها العاجي؟ هل يمكنها نفض الصفة الارستوقراطية الاجتماعية ، لتصبح دارا للفن والادب ، لا صالونا لاستعراض الوجوه الاجتماعية في هذا المجال؟ وكيف يمكنها ذلك وهي تضع جدارا كثيفا بينها وبين الواقع ... فتلجأ الى لغة موليير وراسين ، تعتمد على الرسمية في بياناتها ، في دعواتها ، في مراكز اتصالها بالآخرين ... واخيرا وليس آخرا ، في نهجها العام ؟

ان الوجه الاجنبي كان غالبا على دار الفن ، وهي بذلك لا تختلف عن المراكز الثقافية المرتبطة بالسفارات الاجنبية ، والتي تزرع بها عاصمتنا والحمد لله .

عفوا .. انا لا انتهم الدار او استنق الامور فاصدر عليها حكما ، واصفها بالارتباط الخارجي .. وحكم كهذا يترك للقد ، ولكن الكلمة لتذكير المشرفين على المؤسسة الثقافية ، وفي مقدمتهم السيدة جاتين ربيز ، التي يعود لنشاطها وهمتها ومواظبتها الفضل في انشاء مثل هذا المركز الضروري .

لقد كانت الهوة ، التي تفصل بين مثقفينا ، واسعة وعميقة . وكان من انرها ان انقسم لبنان الادب والفن الى قطاعات او اقطاعيات يسيطر عليها ما اسميه « بطاركة ادب » يصنفون أنفسهم قيمين على التوجيه الفكري والفني ، وينفون من حسابهم كل من يتمرد ، ولا يسير مع القطيع المصفق التملق ، المسبح باسمهم في الندوات والمناسبات .. ويتجاهلون كذلك كل مخلوق لا يتحدث بلغتهم ولا ينضوي تحت لوائهم الرهيب .

وبسبب ذلك ، كانت هناك عزلة ، وكانت الفوضى والشوش ، وكان ذلك التكالب على تقبيل الايدي او النعال في سبيل الوصول الى المجد .

واضطرت الفئة الصادقة ، الاصيلية ، الابية ، ان تتراجع وتنزل ، وتعود الى شرنقة نفسها ، مصصابة بقرف يقطع الشهية ، ويصدم النفس ، وقد يصل خطره الى حد خنق ملكة الخلق والابداع .

هذا كان حتى الان .

ونحن لا نحمل دار الفن والادب مسؤولية غيرها ..

انما نخشى ان تسقط ، مثلما سقط سواها ، وتتحول السي

سفارة غربية ، فوق ارض لبنان ! » .

وتحدث الناقد الادبي لمجلة « الاسبوع العربي » في بيروت الاستاذ ادوار امين البستاني عن « ظاهرة » محاولة بعث الادب الفينيقي في لبنان ، فذكر انها خطة ترمي الى احياء هذا الادب ، تمهيدا لفصل التراث اللبناني عن التراث العربي .

وقال الاستاذ البستاني :

ولسنا ندرى بالضبط الغايات البعيدة الكامنة وراء هذه المحاولة ، على صعيد الاجتماع والسياسة ، بل لسنا نرضى ان تنسب السي اصحابها معرفتهم بعواقبها المهذمة للشخصية اللبنانية ، وقصدهم الى تمويهها ، وانهم يقصدون ذلك قصدا يراي منهم او يدافع من جهة ما .. بل نريد ان ننسب اليهم براءة النية ، وسلامة القصد ، وان تنبهم بمحبة ورفق الى العاقبة الوخيمة التي تترتب بنا وراء ما يفعلون .

ان طبيعة هذه المحاولة ، وتوقيتها ، وما ترتبط به من دعوة الى التخلي عن الفصحى ، وشخصية القائمين بها وميولهم المعروفة تدفع كلها الى الريبة والحذر ، وان تكن غير دافعة الى الخوف والخطر .

فمن الوجهة اللبنانية الخالصة ، وبصرف النظر عن العلائق العربية ، تبدو المحاولة في غير مكانها ، لان تاريخ الفكر اللبناني منذ تسعة اجيال على الاقل ، كان مرتبطا في اديرته ومدارسه وجوامعها وقصوره ، باللغة العربية والتراث العربي ، وقد استطاع هذا الفكر اللبناني ، ان يؤدي ، من ارضه الفيقة ، رسالة للغة العربية في عصر النهضة ، لا يستطيع لبنان اليوم ان يتخلى عنها او ان يترها من تاريخه الفكري . وكذلك يجد لبنان نفسه في حاضره ومستقبله امام الرسالة نفسها ، وان كل محاولة لفصله عن مدها الحيوي الطبيعي وبالتالي لحرمانه من دور الريادة والقيادة لوجه النهضة الثقافية المستمرة من القرن التاسع عشر الى الحاضر والاتي .

ثم ان محاولة احياء الادب الفينيقي كادب قومي ، في هذا التوقيت بالذات ، اي بعد الخامس من حزيران ، هي محاولة من شأنها ان تخلق بين صفوف المثقفين جدلا بينظليا جانبيا ، يلهينا عن القضايا الاساسية والعضلات الحضارية الكبرى ، التي بدأت تتفتق وتظهر بقوة ، كما بدأ الفكر اللبناني والعربي يعالجها بصدق وعمق ويوليها الاهمية الاولى بين قضاياها ومشاكله . ونحن نريد ان نعصم بسلامة النية ، وان نفكر بان هذا التوقيت وليد المصادفة وحدها وانه راجع لاهتمام القائمين بالمحاولة لا لاي دافع اخر مجهول الهوية والارباب فينا . لذلك نعالج الموضوع على انه مجرد مبادرات فردية التقت عقوا في وقت واحد ومكان واحد .

وبرغم ذلك فان اصحاب المحاولة يجهرون بعدائهم لكل ما يمت الى الحضارة العربية بصلة ، ويتذرعون بولائهم للبنان ، يهدمون اجلى ما في شخصية لبنان من وجوه الطاء الانساني ، بل يجهدون في حركة دائبة (محاضرات في المدارس ، ونشرات ومقالات في الصحف ، واحاديث في الندوات الخاصة) الى سلب لبنان لغة التعبير الفكري ، لينزلوا الفكر نفسه الى مستوى العامية المحكية ، اي الى مستوى التعاطي اليومي في الشؤون العادية .

ولكن ما يطمئنا في ذلك كله ، ان المحاولة موجه سريعة التلاشي على وجه البحر الكبير . لان الحضارة التنامية تندفع الى غايتها بقوة وتحمل معها في سيرها ركاما كثيرا .

ثلاثية كاتب ياسين

هل يمكن ان يوصف عمل فني بالفموض ؟

وإذا كان هذا العمل مسرحية ، معروضة ، فعلى من تقع تبعية هذا الفموض ؟ هل على المؤلف « صاحب النص » ؟ أم على المخرج « منفذ النص » ؟ أم على الجمهور الذي « لا يحاول الفهم » ؟

وفي مسرح « الحديقة الفرعونية » بالفاهرة تتردد هذه الاسئلة كل ليلة عقب الانتهاء من عرض مسرحيتي « الاسلاف يتميزون غضبا » و « مسحوق الذكاء » للشاعر الجزائري كاتب ياسين . فاذا مسا حاولنا تلمس الاجابة الصحيحة عن هذه الاسئلة ، وجدنا ان الجمهور على حق ! والا فكيف يمكن الحكم على عمل شوهه البتر واضساع معالاه الاختصار ؟

« فحلقة الثار » التي قدم مسرح الجيب جزئين منها ، ثلاثية ينقصها الراس ، وهو مسرحية « الجثة المحاصرة » التي تدور احدائها في شارع « الفندال » من حي القصبة ..

وفي المشهد الاول نرى جزءا من الشارع تكندت في ركن منه جثث الجرحى والقتلى من المجاهدين ، وفي جزء اخر تقع « عربة » عليها برتقال وخلفها البائع ، ثم الشجرة البرتقالة التي امتصت دم « الاخضر » المجاهد .

جماعة من رفاق الاخضر : حبيته « نجمة » ، صديقه « مصطفى وحسن » ، زوج امه « طهار » ..

حوار قلق سريع متلهف حول اختفاء « الاخضر » : اميت هو ام حي ؟

« نجمة » حزينة ، تشد باكية على حياها ، معتقدة ان « الاخضر » هجرها ، « طهار » المتداعي البليد العجوز يستنكر هذه الجلبة التي يشنها « الاخضر » ورفاقه ضد اسياده الفرنسيين .

اما امه - التي لا تصدق انه مات - فهي تيبس وتموت عسلى نافذتها كل يوم في انتظار عودته !

وياتي تذيير يلغهم باكتشاف مغابتهم وخططهم ، فتدور طلقات نارية ، وتتساقط الجثث ثم ترتفع آروام اللحم الجروحة والمقتولة . « الاخضر » يخرج متداعيا ، وتلمحه « نجمة » فتناديه وتجري نحوه وتسنده . ويحدثها - ناسيا جراحه - عن الجزائر والكفاح ، فتحدثه عن نفسها وحبا ! « وتنفجر اول هسوة في علاقتهما » . يتراشقان بالنهم ويتعاطيان وهو متداع ومستنهد على البرتقالة ، ويشند الرعب والزحام ، ويتساقط من حولهما الرصاص ، ثم ان نجمة تحاول الهرب ، و « الاخضر » يتشبث بالشجرة ، فتدعووه للحاق بها ، وحين لا يجيبها تتركه وتجو هي . اما هو فيخفتي من المنظر ولا يرى الا البائع ..

ويعود الصديقان .. فيسالان البائع عن الاخضر فيراوغ ويهددانه فيعترف انه رآه جريحا ممددا على الارض ، وان فرنسية هي بنست « القومندان » واسمها « مرغريت » حملته في سيارتها ..

ويندفع الصديقان الي منزل « القومندان » ومعهما « نجمة » ، فيجدان « الاخضر » في رعاية ابنته . وبينما « مرغريت » تدوب حنوا وخوفا عليه ، تاكل الفيرة قلب « نجمة » . ويشند النقاش ، وبعلو الصوت ، فيخرج « القومندان » من حجرته مستظما ، وحين يلمحه « حسن » يردبه بطلقة من مسدسه ! ويهرب الجميع بمن فيهم « مرغريت » بالاخضر .. غير انه يسقط في يد البوليس الفرنسي .. ويقدم للمحاكمة !

وفي السجن يصاب بالجنون ، ينوء بماساته الذاتية وما تسلطه عليه من خيالات وتصورات ..

وبما يحط على جسده المضي من تعذيب وتكيل ! ولا يعدمه

جلادوه ، وانما يخلون سبيله ليكون عبرة لغيره من المجاهدين ! ويخرج « الاخضر » من السجن خطاما فلا يجد في انتظاره الا « مرجريت » الفرنسية التي احبته .. ولا يستطيع « الاخضر » ابدا ان يحبها .. فهناك نجمة لا تزال !

ويعود الى شجرة البرتقال ، « ونجمة » التي نفر منه متوهمة - لهذيانه - انه فقد عقله .. وبينما « مرجريت » تصر على احتضانه ، وبينما تحذرهما « نجمة » منه ، يشب « طهار » زوج امه عليه غارسا في صدره السكين ... فيسقط « الاخضر » وتهرب المرأتان .. ويحذف مترنحا في دمه حتى يصل الى شجرته فيحتضنها ، ويجاهد حتى يتعلق بها ، ويلتف عليها ، مصلوبا يقطر فسي عروقها دمه لتورق شجرة الاستشهاد وتصنع الاسطورة !

وهنا تجتمع « جوقة الرجال » وتتعلق حول الشجرة ملتين عن خرابهم ، بينما يرتفع النواح والتعديد من « جوقة النساء » تقودها امه .. وتساله - مجذوبة اليه دون ان تعرفه - عن « الاخضر » الفاتب حي هو ام ميت ؟ ويجيبها : « وماذا تجني ارملة ابي حين تراني هكذا .. مقتولا بيد زوجها الثاني الذي لم تختره بعلا ؟ »

ويتعالى صوت « جوقة الرجال » محذرا : « ايها المجاهدون .. يا ابناء حزب الشعب .. لا تتركوا مغابكم ! ان ساعة القتال ما زالت بعيدة ... »

وتصرخ الجوقة في « مصطفى وحسن » كانما تحدد لهما طريق العمل :

« الى الجبال .. اعتصموا بالجبال .. التجنوا الى الفلاحين .. استجمعوا قواكم » ويخيل للجميع ان « الاخضر » قد امتزج بالشجرة .. اصبح جزءا منها .. فكيف يمكن انقاذه وهو جسد ميت مصلوب ؟ ويتركه صديقه هاردين للجبل ، بينما تثور الطبيعة وكانها تشيعه معلنة غضبة رهيبه من الريح والبرق والرعد .. مكونة خلفية مخيفة للمشهد الذي يكمل بصاعقة تحط على البرتقالة فتصعقها ويسقط جسد « الاخضر » نظفيه اوراقها الذابلة ، تتساقط عليه ، حاضنة اياه ، قبرا صن به اصحابه عليه !..

ويتحول « الاخضر » الشهيد بعد ذلك الى « طائر الاسلاف » ، وتحل روحه في جسد النسر او العقاب الذي يحوم دائما مهددا متوعدا !..

وفي المشهد الاخير من المسرحية ، نرى « علي » الصبي ابن الاخضر ونجمة ينسلق الشجرة .. ويقطع فرعا منها يصنع منه مقلاعا يسويسه بسكينه .. بينما « نجمة » تصرخ فيه :

- « انزل .. انزل .. هيا سامني هذه السكين ... »

ويجيبها : - « هذه سكين ابي .. انها سكينتي »

فتقول : - « ارم البرتقال .. الم اقل لك الف مرة انه مسوم ؟

هيا انزل .. »

غير انه لا يابه لها ويمضي في حشو جيبه به .. ثم ياخذ في رجم الجمهور بالثمار من خلال مقلاعه .. بينما يكون نشيد الكورس خلفية متصاعدة ، على صوت الطبول : « ايها المجاهدون .. يا ابناء حزب الشعب .. لا تتركوا مغابكم ... »

اما شجرة الاسلاف فستظل تورق من دم الاخضر الشهيد ، وتثمر فاكهتها من عصارته .. بينما هو قد تحول الى رمز دائم ملحق لشورة الجزائر ..

وتنتهي « الجثة المحاصرة » اول اجزاء الثلاثية ليتبعها « مسحوق الذكاء » وهو الجزء الثاني ..

ومسحوق الذكاء « ملهات » من نوع « الفارس » تطرد فيها الصورة الكفاحية للجزائر وتستكمل بها الملحمة صورتها الشعبية الاصلية على يد « سحابة الدخان » فيلسوفها الشعبي وجمهوره الذي يتعه دون ان يفهمه ، والذي من خلاله يكتشف الفيلسوف حكمه ، ومقالبه المليئسة بالعبث ، والسخرية المرة من حكام الشعب ودجاليه ومستقليه ..

فكان « مسحوق الذكاء » هي بداية الارهاص المقدس للثورة ... وهي اول الفوران الشعبي الغض وبدء الوعي بالواقع المر .. وهكذا

ارفعوا أصواتكم احتجاجا

أصدر الاتحاد العام لكتاب فلسطين بيانا استنكر فيه اعتقال السلطات الاسرائيلية للشاعر الفلسطيني محمود درويش .

وقد اهاب الاتحاد في بيانه بالمشقفين الذين يقودون الضمير العالمي ، ويؤثرون في أحكامه وفي رؤيته للقضايا النضالية المختلفة أن يشوروا على اسرائيل لاضهادها للشاعر محمود درويش . كما اهاب الاتحاد بأصحاب الضمائر الحية من مثقفي العالم كله أن يرفعوا أصواتهم بالاحتجاج على ما تلقاه الاقلام والافكار الحرة من عنث وارهاق وتكيل .

ومع هذا فان ما يتفنيه هو « جزائر جديدة » « نجمة » اخرى تولد من جديد ..

انه هنا كي « يختطف » نجمة ليحاسبها على « تخاذلاتها » القديمة والجديدة ، فهو طائر « قبلوت » لا يرضيه الا الكمال التام ! وهذا ما يفسره عدم استطاعته ان يحب « مرجريت » رغم حبها البازل في « الجثة المحاصرة » . اما هي ، فما تزال تعيش تلك التخاذلات (موقفها منه وهو جريح في « الجثة المحاصرة » .. هو يكلمها عن الجزائر والكفاح ، وهي لا تفكر الا في نفسها وتشك في غيابه عنها . ثم مزارها منه وتركها اياه مجروحا تحت وابل الرصاص ملتصقا بشجرة البرتقال ... وبعد ذلك في عزلتها بعيدا عن ارض المعركة ، واجتنابها نساء بلدها ، واقامتها الدائمة وحيدة في « وادي المرأة المتوحشة » !

ان نجمة تتحول بعد موت « الاخضر » الى « امراة متوحشة » موتورة كمنيرة جريحة مكسورة كالجزائر التي تحاول في عناد واستماتة ان تقاوم نفسها في محاولة عنيفة بائسة ... غير انها وهي الجريحة الدامية المشوهة الوجه ، المزقة بين الام الحرب واهوال التحرير .. لم تعد هي الجزائر التي يرضى عنها « قبلوت » ولذلك فيجب ان تموت !

وهكذا « فنجمة » هي « المرأة الفولة ذات الدم القاتم ! نجمة الوطن ! وطن الفلاحين ذوي السراويل المهترلة ، الذين تنقلص ارضهم تحت اقدامهم ، واقدام ابنائهم واحفادهم ، فاذا هي تلفظهم ، وتستعيف عنهم بسادة جدد يتخترون فوقها بالباطيل الضيقة ، والقبعات العريضة ! » (٢) .

وفي كل اعمال « كاتب ياسين » ترى ان « نجمة » هي الجزائر المضيعة ، الضائعة العالم ..

— الشكل الدرامي عند كاتب ياسين ...

نطلق مسرح « كاتب ياسين » مسن ارضيين صليتين ، مسن « التراجيديا اليونانية » يستلهم الشاعر شكله المسرحي ، ومسن « الفلكلور العربي والبربري في شمال افريقيا » يستلهم روحه ، وحرارته الشعرية .. فثلاثية النثر في شكلها الدرامي ، ليست الا عودة للتراجيديا الشعرية في نقاوتها الاولى ، وخاصة عند « ايسخيلوس » ..

(٢) مقدمة « نجمة » .

تحل « الجثة المحاصرة » في دماء الشعب ، ويفعل « الاخضر » الشهيد فعله في جسده ، متقللا فيه ، مستجمعا قواه ، مسلما وحيدة « علي » الى « سحابة الدخان » .

فيلسوفه وضميره ليعلمه .. وتمخض « مسحوق الذكاء » عن الجزء الثالث والاخير من ملحمة النثر وهو اهم الاجزاء كلما واصعبها .. فالثورة التي اشعلها مقتل « الاخضر » والتي بدأت ترددا خافتا ضعيفا ، يبرق بين صفوف الشعب في « مسحوق الذكاء » يشتد اوارها في « الاسلاف » تذكيا اجنحة « العقاب » المحوم وتوقدها ضرباته التي لا تهدأ .

وفي « الاسلاف » يستكمل « الاخضر الشهيد » لقاءه مع « نجمة » التي تصبح « المرأة المتوحشة » ليصفي حسابها معها . وهو هنا يتخذ صورته الاسطورية العقاب .. طائر الاسلاف الذكر .. الذي لا يحوم حوله الريب .. الصقر الذي في مروره قضاء بالموت .. والذي يحوم فوق سكرات احتضاركم وكانه غارق في التأمل ، « بعيدا لا يكل ! » اما باقي شخوص « الجثة المحاصرة » فتستكمل هنا دورها ... وتسير كل شخصية نحو نهايتها مبلورة موقفها في حلبة الصراع ! فكورس الرجال الذي كان لا يجد ما يقوله للاخضر ورفاقه غير التحذير والنداء المستمر بالهرب واللجوء للجبل والاختفاء في الغابات يتغير موقفه الآن ، ويتغير نداؤه الحذر المحذر ، الى صرخة صريحة داعية للثورة .

ونفس التغيير يحدث « لجوقة النساء » فيتغير صوتها الضعيف النائح النداب ، الى صوت اخر صارخ .

اما « حسن ومصطفى » فيظهرا بعد غيبة عشر سنوات ليستكملا دورهما في حلقة الصراع ... ولياخذا بناثر « الاخضر الشهيد » مس « طهار » رمز الرجعية والخيانة .. وكان من الممكن لهما أن يكونا امتدادا لصديقهما لولا ان لفع الثورة المقدس ، يسقط في طريقه كل النوايا غير الخالصة ، ويعصف في هبونه بمن يحمل في قلبه هوى غير هواها الحارق المدمر ... فمن تأسره الثورة .. لا يجد وقتا للتفكير في سواها .

وهكذا يسقط « حسن ومصطفى » .. يقتل احدهما الاخر من اجل شهوة آثمة لامراة صديقهما الراحل « نجمة » .

« نجمة التي قدر لها ان يتنازع الرجال لاحبها فحسب وانما ابوتها ... نجمة الزهرة التي لا يمكن استنشاقها ، الزهرة التي حددت حتى اعماق جذورها وادقها ... » (١)

ويلقئ الاخر ميتة اكثر شناعة وذلا ، ميتة تليق بالضعفاء والعاجزين ، فلا يستطيع - بعد ان قتل صديقا ، وخان ذكري الاخر - ان يدافع عن الفتيات ، او عن المرأة التي يحبها امام جنود العدو .. ويقف خائرا مرتعشا ، بينما يعيره الكورس النسائي ناعيا عليه جنبه وضعفه ..

غير ان الصقر الذي يحاول أن يسبق الجنود للفريسة ، راغبا في ضمها الى موكب الاسلاف .. يلهيه فيدخل معه في معركة حامية يفقد فيها بصره ويسيل من وجهه الدم .. وما زالت جوقة النساء تصعد نشيدها الحار :

وهكذا يدور « طائر الاسلاف » دورته ، ينقض على كل شيء مفيرا اباه .. مبدلا صمته الميت الى حياة ، وهو في خلال تحويمه وانقضاضه يزيد عدد من ينضم الى « موكب الاسلاف الذي لا يقهر » .. لقد مس صوته ومنقاره كل شيء .. (جوقة النساء .. جوقة الرجال .. طهار .. حسن .. مصطفى .. علي ..) ولم يبق الا « المرأة المتوحشة » وهي ما جاء اساسا من اجله ! انه في تحويمه الدائم حصول « نجمة » وفي مطاردته الدائمة لها ليضمها الى « ركب الاسلاف .. يعي مأساته » تماما .. مأساة « تواجده الخرافي » .. هذه التي تفضل صوته ، وتحيط ظهره بالفموض والرعب ، فلا يصل نداؤه كما ينبغي ..

(١) نجمة - كاتب ياسين .

فاستخدام « الكورس » كعملق على الاحداث ، وكراو لها ، وتقسيمه الى جوقة رجال وجوقة نساء على رأس كل منهما « قائد او قائدة » .. ثم التقليل من عدد الممثلين في المشهد الواحد ، كسل هذا يذكرنا خصوصا « بالفرس » ، « والصارعات » ..

ووظيفة « الكورس » عند كاتب ياسين لا تقف عند «رواية الاحداث» او « التعليق عليها ، بل تتعداها الى « الاشتراك الفعلي في عملية التمثيل او تجسيد الحدث » .. (كما في مسحوق الذكاء عندما ترفض الجوقة الشهادة مع التاجر ضد سحابة الدخان ، وفي مشهد سرقة حمار الفيلسوف ، وايضا في الاستفتاء عن الافطار .. كما نراها ايضا في « الاسلاف » .. مشهد اعطاء السلاح للنساء ، والتصدي الاخير لجنود الاعداء بعد سقوط « حسن » وهزيمة « مصطفى » امام العقاب) ورغم ان الشاعر يكتب بالفرنسية الا ان القارئ او المشاهد لمسرحياته سواء بها ام بالعربية ، لا يستطيع ان يتجاهل تلك الروح الشرقية الغلابة التي تشع من كلماته فيما يشبه السحر ! عن الادب الشعبي العربي ، ومن نوادر « جحا » ومواقفه الساخرة المعروفة استلهم الشاعر شخصيته « سحابة الدخان » فيلسوف الشعب الطريف ومعلمه ، بل ان اسطورة « العقاب » نفسها ليست الا الخرافة العربية الشائعة عن ان روح القليل تجسد ليلا في طائر « الهامة » الخرافي الذي يحوم كل ليلة حول مكان الموت صارخا : « اسقوتي .. اسقوتي » ولا يهدأ حتى يأخذ بدم الميت !

ومن « اغاني البربر » في شمال افريقيا يستمد الشاعر حرارة التعبير الشعري وصدقه .. فجاء شعره قاسيا نفاذا ، اشبه بالنبت البري في ضراوته وامتداده ، وتشعبه !

بقي شيء اخر فيما يتعلق بموضوع الصراع فسي المسرح : فصرع « كاتب ياسين » .. ليس مع القدر كابطال المآسي الاغريقية ، وانما مع عدو مستمر ومع واقع يراد تغييره .. « فالإنسان الذي يكافح السماء ، هو القمر الصناعي .. ولكن اذا دار الحديث عن مأساة الجزائر ، فلا يوجد هنا سوى مخرج واحد : النضال ضد الاستعمار فسي سبيل الاستقلال والتحرر » (1)

وماذا عن الاخراج ؟؟

كما سبق فمسرحتنا « مسحوق الذكاء ، والاسلاف تتميزان غصبا » هما اللتان الاخيران من العمل .. وبالطبع فان بتر عمل متكامل كهذا ، واجتثائه في جزء منه ، يمكن ان يعد مسؤولا الى حد كبير عما لصق بعرضه من غموض او عدم تقبل ! فالشخصيات - كما رأينا - تستمر طوال الثلاثة اجزاء تقريبا ،

(1) حديث للشاعر في مجلة النقد الجديد العدد 112

وتتصاعد في نمو مطرد من أول جزء في الثلاثة الى اخر جزء فيها .. فكيف يمكن اذن لاي جمهور مهما بلغ مستواه العقلي والثقافي ان يعلم ان « العقاب » هو « الاخضر الشهيد » بمفونا ؟ وان « طهار » الخائن الانتهازي هو زوج الام القاتل ؟ وان « علي » هو ابن الاخضر ونجمة ؟ وهل مجرد قول « نجمة » عن « العقاب » « انه الاخضر القديم » كاف لان يعرفنا من هو الاخضر ؟ ما قصته ؟ وكيف وصل الى حالته الخرافية تلك ؟؟

ثم ان هذا العمل بالذات ، ليس مجرد عمل فني هدفه الامتساع فحسب ! . وانما هو ملحمة ثورة ، وموضوع كفاح مرتبط بجذور تاريخية ، وقضايا قومية معقدة ومتشعبة المفاهيم ووجهات النظر .. بل ان لفظة « كاتب ياسين » الشعرية نفسها « لغة مليئة بالرموز والصور التي تنوء بما يريد ان يحمله لها من معان ودلالات » مما يجعل العمل صعبا اذا عرض بأكمله على متفرج يراه للمرة الاولى ! فكيف به ان شوهه البتر وارهقه الاختصار ؟

ان وظيفة « المخرج » ببساطة هي « تحقيق الحياة في النص » وفي سبيل هذا له ان يفسره اي تفسير يقتنع به ، وان يراه من ايسة وجهة نظر يراها ملائمة ، بشرط ان يحتمل النص هذا التفسير ولا يتعارض مع هذه الرؤية !

اما ان يتخذ مخرج النص المسرحي « مطية » يعرض على حسابها مدى مقدرته وبراعته الحرفية ، فهو التصف الذي يخرج به عن حدود الامانة التي تتطلبها وظيفته !

وهذا ما فعله « كرم مطاوع » .. بالرغم من ثقافته الفنية ، وبالرغم من درايته الكاملة بمقتضيات عمله وحدودها ، فقد جاء العرض اشبه « بكرنفال » تشكيلي من الحركة واللون والموسيقى والكلام الذي ضاع في غمرة الاهتمام بالجزئيات الاجراية الاخرى !

وهو - كمخرج - يتميز ببراعة كبيرة في استغلال كل جزء من اجزاء المسرح ، ويستطيع ان يفجر المساحة المحدودة عليه الى ابعاد ومساحات رحبة لا متناهية - وقد يكون هذا ممكنا عن طريق استخدام اللون وحيل المنظور المختلفة - اما الجديد .. فهو ان يتم هذا عن طريق الاداء الحركي المتناسق والمدرس .. وربما كان هذا مرضيا اذا تناسينا النص ، وقتعنا من العرض بمجرد المتعة ! الا ان هذا لا يعفيه من اصراره على وضع المتفرج في « مناهات جمالية » واستقطاب انتباهه ووعيه باجتذابه داخل مجال ساحر من الابهار السمعي والبصري فقط ! متناسيا ان للعمل الدرامي اولا واخيرا مضامين ووجهة نظر معينة ينظرها عقل المتفرج وخاصة في مثل هذه الاعمال ! فلقد اعتمد كرم مطاوع في هاتين المسرحيتين كما في مسرحية « برما » التي قدمهما قبل ذلك فوق مسرح الجمهورية على تلخيص ، وتبسيط الديكور ، ثم تجميده طوال فترة العرض تقريبا !

وبالنسبة لمسرحية تحتاج قدرا كبيرا من المتابعة والتفكير فهذا مناسب تماما ، غير ان هذا الضجيج الصاخب المتواصل من «العقاب» مضافا اليه الاضاءة والاطلام السريع المتعاقب قد أفسدا هذه البساطة ، وزاد عليها هذا « العواء الموسيقي » الشبيه بما تقدمه فرق « المواسد وحفلات الذكر » ..

وتجرنا هذه الملاحظة الى كلمة عن « الموسيقى المسرحية » .. المعروف ان وظيفة الموسيقى في العرض المسرحي تحضر في الانبي : فهي اما ان تكون بمثابة عنصر مكمل للنص .. بمعنى مرافقة وتأيسد اتجاه الانفعال ، واما ان تفسر المواقف او تصفى عليها شدة انفعالية .. هذا هو دور الموسيقى في « المسرح الدرامي التقليدي » .. اما عند « بريخت » فهي « اداة تعطي فهما مستقلا خاصا بها .. ولا يهيم ان يكون مخالفا او منابذا للتوقع الوجداني للموقف ! »

وبالطبع فان « آتفه » وظيفة للموسيقى الدرامية واضعفا هي « الفنائية المفردة » وهذا ما حدث بالضبط « وفي جزء الاسلاف بالذات » .. رغم ان الكاتب يصير على انه : « لا موسيقى الا ضربات متواصلة ، او متقطعة على الجونج .. »

صدر حديثا

النضال مع القدر

ديوان جديد

من وحي النكسة

للشاعر

حسن عبد الله القرشي

دار الاداب

٢٥٠ ق.ل

فقد أدى الى وقوع المتفرجين في كثير من الخلط والملبس كانوا في غنى عنهما خاصة وان الجزئين متتاليان مما لا يترك للمتفرج فرصة كي يتخلص من تأثراته بالادوار السابقة والقائمين بها !

وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع ممثل مثل « ابو زهرة » ان يكون مقنعا وظريفا في تمثيله « سحابة الدخان » اما في « مصطفى » فقد كان اضعف بكثير ... وان كان افضل من « محمد سالم » الذي كان اداؤه باردا ونطقه للحروف رخوا لينا مما لا يليق بمجاهد تشرذ واخشوشنت تصرفاته وكلماته !

اما « محسنة توفيق » - وهنا تكمن المغالطة - فقد استطاعت بما تملك من ليونة ومقدرة حركية فائقة ان تغطي عديم فهمها للدور او اقتناعها به ، وبالتالي فقد اغرقنا في تشكيلة عجيبه من التشنجات والتشنجات غير المبررة اصلا .. والتي حاولت - بسداجة - ان تجعلها مرعبة وتجلنا نخاف - ولولا ما تكتنزه من طاقات انفعالية ضخمة ظلت تستجديها دائما لشحنها وانقاذها « لسقطت بها نجمة سقوطا لا يبرره نجاحها الرائع والمذهل في « كاسندرا » !

والسؤال الان : كيف استطاعت ان تقترب كل هذا الاقتراب من كاهنة « ابوللو » « في اجا ممنون » ؟

ولم تجد نجمة الجزائرية مكانا لها في اعماقها ؟
... وبعد : فان غموض هذا العمل بصورته التي قدم بها على مسرح الجيب .. القيت اولا على عاتق المخرج .. راجيا اياه ان يفسح « للمؤلفين المساكين » حيزا - اظن انهم يستحقونه - بجانب اصفوانه والوانه وصغبه !

- ثم يقع اللوم بعد ذلك على السادة المثليين والمثلات مطالبيا اياهم بقليل من التنب في تفهم النص وقليل من القراءة حوله .. رحمة بانفسهم من وقفة مثل هذه لا تسر !

اسامه ابو طالب

القاهرة

اما في « مسحوق الذكاء » فربما كانت هذه الفنائية مناسبة ومن هنا فلا بد من مراعاة التفرقة بين ما يتطلبه « الفارس » وما تحتاجه « روح التراجيديا » !

ان « عملية التمثيل » هي عملية امتزاج وتزاوج بين الدور والممثل، تتم على مرحلتين : الاولى : هي مرحلة التفهم والادراك العقلي ، والثانية: وهي من الاحساس ، والتاثر والانفعال الوجداني .. وبتمامهما .. يتخصص الممثل دوره تقمصا كاملا ومقنعا ... وبالطبع فلن المرحلة الانفعالية لا يمكن الوصول اليها الا بعد اجتياز مرحلة الفهم العميق الكامل .. والذي اذا لم يتم تحقق الانفصال الخطير بين الدور ومثله ، وخروج الكلام باردا وميتا !

وهذا بالضبط ما حدث بالنسبة لجوقتي الرجال والنساء على السواء .. وفي المسرحيتين وتجد في « هذه الاستدعاءات الانفعالية الضائعة التي كانوا يحاولون بها جذب انفسهم للدور او اعطاء كلامهم مرارة الاقتناع ، وايضا في انصراف كثير من افراد المجموعتين - في فترات سكوتهم - الى ملاحظة بعضهم او الفاء نظرات « الترحيب » على المتفرجين !

شيء صعب تماما ان يحس الممثل ان دوره « فففاض » عليه .. كما حدث بالنسبة لرئيس جوقة الرجال وقائدة كورس النساء ! وتتضح خطورة هذا الانفصال اذا ما عرفنا ان « الكورس » عند « كاتب ياسين » يقدم بنفس الدور اليوناني .. فهو لا يخرج عن كونه « مجموعة من اهل المدينة » وهذا يعني علمهم بما يدور حولهم ويشتركون في التعليق عليه ومراقبته ...

وعند « شاعر الجزائر » يزيد دور المجموعة بالمشاركة التي تقدمها في « تجسيد الحدث » مما يفترض الانتباه والاستفراق مع الوعي التام! اما قيام بعض الشخصيات « بادوار مزدوجة » - مثل عباس فارس في « السلطان والمحارب القديم » ؟ وعبد الرحمن ابو زهرة في « سحابة الدخان ومصطفى » ؟ ومحسنة توفيق في « غنيقة ونجمة » -

العلم الكبير للعلماء

ديوان الشعر المنتظر
للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

المجموعة الشعرية الاخيرة التي وضعتها شاعرة النكبة فدوى طوقان ، وهي تضم طائفة من القصائد الجديدة المستوحاة من مأساة الشاعرة ومأساة كل عربي مزقته كارثة فلسطين .

صوت ندي بالاسى والدمع يجيئنا من الضفة الغربية ، يحدثنا عن آلامنا ونكبتنا أعمق الحديث وأشدّه حزنا .
آخر ديوان لصاحبة « وحدي مع الايام » و « وجدتها » و « أعطنا حبا » .

صدر حديثا

التمن ٢٠٠ ق. ل